ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

ذكر أخبار القرامطة بالشام

في هذه السنة ظهر بالشام رجل من القرامطة، وجمع جموعاً من الأعراب، وأتى دمشق، وأميرها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، وكانت بينهما وقعات[1].

وكان ابتداء حال هذا القرمطي أن: ذكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا: أنه داعية قرمط لما رأى أن الجيوش من المعتضد متتابعة إلى من بسواد الكوفة من القرامطة، وأن القتل قد أبادهم، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من الأعراب: أسد، وطيء وغيرهم، فلم يجبه منهم أحد، فأرسل أولاده إلى كلب بن وبرة، فاستغووهم، فلم يجبهم منهم إلا الفخذ المعروف: ببني القليص بن ضمضم بن عدي بن خباب، ومواليهم خاصة، فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومائتين بناحية السماوة [ابن] ذكرويه المسمّى: بيحيى المكنّى: أبا القاسم، فلقّبوه الشيخ، وزعم: أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2].

وقيل: لم يكن لمحمد بن إسماعيل ولد اسمه: عبد الله، وزعم: أن له بالبلاد مائة ألف تابع وأن ناقته التي يركبها مأمورة، فإذا تتبعوها في مسيرها نصروا، وأظهر عضداً له ناقصة وذكر أنه ابنه، وأتاه جماعة من بني الأصبع، وسُمّو: الفاطميين ودانوا بدينه، فقصدهم شبل غلام المعتضد من ناحية الرصافة، فاغتروه فقتلوه، وأحرقوا مسجد الرصافة، واعترضوا كل قرية اجتازوا بها، حتى بلغوا ولاية هارون بن خمارويه، التي قوطع عليها طغج/ بن جف، فأكثروا القتل بها والإغارة، فقاتلهم طغج، فهزموه غير مرة[3]. ج٦/٩٩/ط

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٤).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٤، ٩٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٠٢) مختصراً.

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٠٢) مختصراً.

ذكر أخبار القرامطة بالعراق

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة، فوجّه المعتضد إليهم شبلاً غلام أحمد بن محمد الطائي، وظفر بهم، وأخذ رئيساً لهم يعرف بأبي الفوارس، فسيره إلى المعتضد، فأحضره بين يديه، وقال له: أخبرني! هل تزعمون: أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل في أجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل؟ فقال له: يا هذا، إن حلّت روح الله فينا فما يضرّك؟.

وإن حلّت روح إبليس فما ينفعك؟ فلا تسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصّك، فقال: ما تقول فيما يخصني؟ قال: أقول أن رسول الله ﷺ مات وأبوكم العباس حي فهل طلب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك؟ ثم مات أبو بكر، فاستخلف عمر وهو يرى موضع العباس، ولم يوص إليه، ثم مات عمر، وجعلها شورى في ستة أنفس، ولم يوص إليه، ولا أدخله فيهم، فبماذا تستحقون أنتم الخلافة؟ وقد اتّفق الصحابة على دفع جذك عنها، فأمر به المعتضد، فعذّب، وخلعت عظامه، ثم قطعت يداه، ورجلاه ثم قتل[١].

ذكر وفاة المعتضد

في هذه السنة، في ربيع الآخر، توفي المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفّق بن المتوكّل ليلة الإثنين لثمان بقين منه، وكان مولده في ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين ومائتين[٢].

ولمّا اشتد مرضه اجتمع القوّاد، منهم يونس الخادم، وموشكير، وغيرهما، وقالوا للوزير القاسم بن عبيد الله: ليجدد البيعة للمكتفي، وقالوا: إنا لا نأمن فتنة، فقال: إن هذا المال لأمير المؤمنين ولولده من بعده، وأخاف إن أطلق المال فيبرأ من علّته فينكر عليّ ذلك[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٠١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٢١).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٦).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٠٨) مطوّلاً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٢٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٥٩) مختصراً، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٣٨) مختصراً.

فقال: إن برىء من مرضه فنحن المحتجّون، والمناظرون، وإن صار الأمر إلى ولده فلا يلومنا، ونحن نطلب الأمر له، فأطلق المال، وجدّد عليه البيعة، وأحضر عبد الواحد بن الموفّق وأخذ عليه البيعة، فوكّل به، وأحضر ابن المعتز، ومضى ابن المؤيد، وعبد العزيز بن المعتمد ووكّل بهم، فلما توفي أحضر يوسف بن يعقوب، وأبا حازم، وأبا عمر بن يوسف بن يعقوب، فتولى غسله محمد بن يوسف، وصلى عليه الوزير، ودفن ليلاً في دار محمد بن طاهر[1].

وجلس الوزير في دار الخلافة للعزاء، وجدد البيعة للمكتفي، وكانت أم المعتضد واسمها: ضرار قد توفيت قبل خلافته، وكانت خلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وخلف من الولد الذكور علياً ـ وهو المكتفي ـ وجعفراً ـ وهو المقتدر ـ وهارون، ومن البنات إحدى عشرة بنتاً، وقيل: سبع عشرة، ولما حضرته الوفاة أنشد:

تَمتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لاَ تَبْقَى ... وَخُذْ صَفْوَهَا مَا إنْ صَفَتْ وَدَعِ الرَّنْقَا
وَلاَ تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إنِي أَمِنْتُهُ ... فَلَمْ يُبْقِ لِي خِلاً وَلَمْ يُرْعَ لِي حَقاَ
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِجَالِ وَلَم أَدَعْ ... عَدُواً وَلَم أُمْهِلْ عَلَى طَغيهِ خَلْقاَ/ ج٦ ١٠٠/ط
وَأَخْلَيْتُ دَارَ المُلْكِ مِنْ كُلّ نَازِعٍ ... فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْباً ومَزَّقْتُهُمْ شَرْقاَ
فَلَمّا بَلَغْتُ النَجْمَ عِزاً وَرُفْعَةً ... وَصَارَتْ رِقَابُ الخَلْقِ أَجْمَعُ لِي رِقّا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْماً فَأُخْمِدَ جَمْرَتِي ... فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلاً أَلْقَى
وَلَمْ يُغْنِ عَنّي مَا جَمَعْتُ وَلَم أَجِد ... لِذِي المُلْكِ وَالأَحْيَاءِ فِي حُسْنِهَا رِفْقَا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ مَوْتِي مَا أَلْقَى ... إِلَى نِعَمِ الرَحْمٰنِ أَمْ نَارِهِ أَلْقَى

ذكر صفته وسيرته

كان المعتضد أسمر، نحيف الجسم، معتدل الخلق قد وخطه الشيب، وكان شهماً شجاعاً، مقداماً، وكان ذا عزم وكان فيه شح، بلغه: خبر وصيف خادم ابن أبي الساج وعليه قباء أصفر، فسار من ساعته، وظفر بوصيف وعاد، فدخل أنطاكية وعليه القباء، فقال بعض أهلها: الخليفة بغير سواد، فقال بعض أصحابه: إنه سار فيه ولم ينزعه عنه

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٢٢) مختصراً، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٥٩)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٣٧).

إلى الآن، وكان عفيفاً.

حكى القاضي إسماعيل بن إسحاق، قال: دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداثٌ رومٌ صِباح الوجوه، فأطلت النظر إليهم، فلما قمت أمرني بالقعود فجلست، فلما تفرق الناس، قال: يا قاضي، والله ما حللت سراويلي على غير حلال قط[١].

وكان مهيباً عند أصحابه يتقون سطوته ويكفّون عن الظلم خوفاً منه.

ذكر خلافة المكتفي بالله

ولما توفي المعتضد كتب الوزير إلى أبي محمد علي بن المعتضد ـ وهو المكتفي بالله ـ يعرفه بذلك ويأخذ البيعة له، وكان بالرقة، فلما وصله الخبر أخذ البيعة على من عنده من الأجناد، ووضع لهم العطاء وسار إلى بغداد، ووجّه إلى النواحي من ديار ربيعة، ومضر، ونواحي العرب من يحفظها، ودخل بغداد لثمانٍ خلون من جمادى الأولى، فلما سار إلى منزله أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم[٢].

ذكر قتل عمرو بن الليث الصفار

وفي هذا اليوم الذي دخل فيه المكتفي بغداد قتل عمرو بن الليث الصفار، ودفن من الغد.

وكان المعتضد بعد ما امتنع من الكلام أمر صافياً الخرمي بقتل عمرو بن الليث بالإيماء والإشارة، ووضع يده على رقبته وعلى عينه بأن اذبح الأعور، وكان عمرو أعور، فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بقرب وفاة المعتضد، وكره قتل عمرو، فلما وصل المكتفي بغداد سأل الوزير عنه، فقال: هو حي فسرّ بذلك وأراد الإحسان إليه؛ لأنه كان يكثر من الهدية إليه لما كان بالري، فكره الوزير ذلك، فبعث إليه من قتله[٣].

---

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٥٩).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١١١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ٣)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٥٩)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٣٨).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١١١) مختصراً.

ذكر استيلاء محمد بن هارون على الري

وفي هذه السنة كاتب أهل الري محمد بن هارون الذي كان حارب محمد بن زيد العلوي، وتولى طبرستان لإسماعيل بن أحمد، وكان محمد بن هارون قد خلع طاعة إسماعيل، فسأله أهل الري المسير إليهم ليسلموها إليه، وكان سبب ذلك: أن الوالي عليهم كان قد أساء السيرة فيهم، فسار محمد بن هارون إليهم فحاربه واليها ـ وهو الدتمش التركي ـ فقتله محمد وقتل ابنين له وأخا كيغلغ ـ وهو من قوّاد الخليفة ـ ودخل محمد بن هارون الري واستولى عليها في رجب[١]/ .

ج٦ ١٠١/ط

ذكر قتل بدر

وفيها قتل بدر غلام المعتضد، وكان سبب ذلك: أن القاسم الوزير كان قد همّ بنقل الخلافة عن ولد المعتضد بعده، فقال لبدر في ذلك في حياة المعتضد بعد أن استحلفه واستكتمه، فقال بدر: ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي وولي نعمتي، فلم يمكنه مخالفة بدر، إذ كان صاحب الجيش، والمستولي على أمره والمطاع في خدمه وغلمانه وحقدها على بدر، فلما مات المعتضد كان بدر بفارس فعقد القاسم البيعة للمكتفي ـ وهو بالرقة ـ وكان المكتفي أيضاً مباعداً لبدر في حياة أبيه، وعمل القاسم في هلاك بدر خوفاً على نفسه أن يذكر ما كان منه للمكتفي، فوجّه المكتفي محمد بن كشتمر برسائل إلى القوّاد الذين مع بدر يأمرهم بالمسير إليه، ومفارقة بدر، ففارقه جماعة، منهم: العباس بن عمرو الغنوي، ومحمد بن إسحاق بن كنداج، وخاقان المفلحي، وغيرهم، فأحسن إليهم المكتفي، وسار بدر إلى واسط، فوكل المكتفي بداره، وقبض على أصحابه وقواده وحبسهم، وأمر بمحو اسم بدر من التراس والأعلام، وسير الحسين بن علي كورة في جيش إلى واسط[٢].

وأرسل إلى بدر يعرض عليه أي: النواحي شاء فأبى ذلك، وقال: لا بد لي من المسير إلى باب مولاي[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٨، ٨٩).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٩، ٩٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ٩).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٠).

فوجد القاسم مساغاً للقول، وخوّف المكتفي غائلته، وبلغ بدراً ما فعل بأهله وأصحابه، وأرسل من يأتيه بولده هلال سراً، فعلم الوزير بذلك، فاحتاط عليه، ودعا أبا حازم، قاضي الشرقية، وأمره بالمسير إلى بدر، وتطييب نفسه عن المكتفي، وإعطائه الأمان عنه لنفسه وولده وماله، فقال له أبو حازم: أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين فصرفه، ودعا أبا عمر القاضي، وأمره بمثل ذلك فأجابه، وسار ومعه كتاب الأمان، فسار بدر عن واسط نحو بغداد، فأرسل إليه الوزير من قتله، فلما أيقن بالقتل سأل: أن يمهل حتى يصلي ركعتين، فصلاهما، ثم ضربت عنقه يوم الجمعة لستٍ خلون من شهر رمضان، ثم أخذ رأسه وتركت جثته هنالك، فوجّه عياله من أخذها سراً، وجعلوها في تابوت، فلما كان وقت الحج حملوها إلى مكة، فدفنوها بها، وكان أوصى بذلك، وأعتق قبل أن يقتل كل مملوك كان له، ورجع أبو عمر القاضي إلى داره كئيباً حزيناً لما كان منه في ذلك، وقال الناس فيه أشعاراً، وتكلموا فيه[1]، فمما قيل فيه:

قُلْ لِقَاضِي مَدِينَةِ المَنْصُورِ ... بِمَ أَخَلَلْتَ أَخْذَ رأس الأمير

عِنْدَ إِعْطَائِهِ المَوَاثِيْقَ وَالعَهْـ ... ـدَ وَعَقْدَ الأَيْمَانِ فِي مَنْشُورِ

أَيْنَ أَيْمَانُكَ التِي شَهِدَ اللَّـ ... ـهُ عَلَى أَنَّهَا يَمِيْنُ فُجُورِ

إِنَّ كَفَّيْكَ لاَ تُفَارِقُ كَفَّيْـ ... ـهِ إِلَى أَنْ تُرى عَلِيلَ السَّرِيرِ

يَا قَلِيْلَ الحَيَاءِ يَا أَكْذَبَ الأُمْـ ... ـة يَا شَاهِداً شَهَادَةَ زُورِ

لَيْسَ هَذَا فِعْلَ القُضَاةِ وَلاَ يُحْـ ... ـسِنُ أَمْثَالَهُ وُلاةُ الجُسُورِ

أيّ أَمْر رَكِبْتَ فِي الجُمْعَةِ الزَهْـ ... ـراءِ مِنْهُ فِي خَيْرِ هَذِي الشُّهُورِ

قَد مَضَى مَنْ قَتَلْتَ فِي رَمَضَا ... نَ صَائِمَاً بَعْدَ سُجْدَةِ التَّغْفِيرِ/ ج٦ ١٠٢/ط

يَا بَنِي يُوسُف بن يعقوب أَضْحَى ... أَهْلُ بَغْدَادَ مِنْكُمْ فِي غُرُورِ

بَدَّدَ اللهُ شَمْلَكُمْ وَأَرَانِي ... ذُلَّكُمْ فِي حَيَاةِ هَذَا الوَزِيرِ

فأعدّوا الجَوَابَ لِلحُكَمِ العَدْ ... لِ ومن بَعْدِ مُنْكِرٍ وَنَكِيرِ

أَنْتُمْ كُلُّكُمْ فِداً لأَبِي حَا ... زِمِ المُسْتَقِيْمِ كلّ الأُمُورِ[2]

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩١ ـ ٩٣) مطوّلاً، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١١٢) مختصراً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ٩، ١٠) مختصراً.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٣).

ذكر ولاية أبي العباس عبد الله بن إبراهيم أفريقية

قد ذكرنا سنة إحدى وستين ومائتين أن إبراهيم بن أحمد، أمير أفريقية، عهد إلى ولده أبي العباس عبد الله سنة تسع وثمانين ومائتين، وتوفي فيها، فلما توفي والده قام بالملك بعده، وكان أديباً لبيباً شجاعاً، أحد الفرسان المذكورين مع علمه بالحرب وتصرفها، وكان عاقلاً عالماً له نظر حسن في الجدل، وفي أيامه عظم أمر أبي عبد الله الشيعي، فأرسل أخاه الأحول ـ ولم يكن أحول وإنما لقب بذلك؛ لأنه كان إذا نظر دائماً ربما كسر جفنه، فلقب: بالأحول ـ إلى قتال أبي عبد الله الشيعي، فلما بلغه حركته خرج إليهم في جموع كثيرة، والتقوا عند كموشة، فقتل بينهم خلق عظيم، وانهزم الأحول، إلا أنه أقام في مقابلة أبي عبد الله، وكان أبو العباس أيام أبيه على خوف شديد منه لسوء أخلاقه، واستعمله أبوه على صقلية، ففتح فيها مواضع متعددة وقد تقدم ذكر ذلك أيام والده.

ولما ولي أبو العباس أفريقية كتب إلى العمال كتاباً يُقرأ على العامة يعدهم فيه الإحسان، والعدل، والرفق، والجهاد، ففعل ما وعد من نفسه، وأحضر جماعة من العلماء ليعينوه على أمر الرعية، وله شعر فمن ذلك قوله بصقلية، وقد شرب دواء:

شَرِبْتُ الدَوَاء عَلَى غُرْبَةٍ ... بَعِيْداً مِنَ الأَهْلِ وَالمَنْزِلِ

وَكُنْتُ إِذَا مَا شَرِبْتُ الدَوَا ... أَطيّب بالمِسْكِ وَالمَنْدَلِ

وَقَدْ صَارَ شُرْبِي بِحَار الدما ... وَنَقع العَجَاجةِ والقَسْطَلِ

واتصل بأبي العباس عن ولده أبي مضر زيادة الله والي صقلية له اعتكافه على اللهو، وإدمانه شرب الخمر، فعزله وولى محمد بن السرقوسي، وحبس ولده، فلما كان ليلة الأربعاء آخر شعبان من سنة تسعين ومائتين قتل أبو العباس قتله ثلاثة نفر من خدمه الصقالبة بوضع من ولده، وحملوا رأسه إلى ولده أبي مضر ـ وهو في الحبس ـ فقتل الخدم وصلبهم، وكان هو الذي وضعهم، فكانت إمارته سنة واثنتين وخمسين يوماً، وكان سكناه/ وقتله، رحمه الله، بمدينة تونس. ج٦/١٠٣/ط

وكان كثير العدل أحضر جماعة كثيرة عنده، ليعينوه على العدل ويعرفوه من أحوال الناس ما يفعل فيه على سبيل الإنصاف، وأمر الحاكم في بلده، أن يقضي عليه وعلى جميع أهله، وخواص أصحابه، ففعل ذلك، ولما قتل ولي ابنه أبو مضر، وكان من أمره

ما نذكره سنة ست وتسعين ومائتين.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، منتصف رمضان، قتل عبد الواحد بن الموفق، وكانت والدته إذا سألت عنه، قيل لها: إنه في دار المكتفي، فلما مات المكتفي أيست منه، فأقامت عليه مأتماً[١].

وفيها كانت وقعة بين أصحاب إسماعيل بن أحمد وبين ابن جستان الديلمي بطبرستان، فانهزم ابن جستان.

وفيها لحق إسحاق الفرغاني - وهو من أصحاب بدر - بالبادية وأظهر الخلاف على الخليفة المكتفي، فحاربه أبو الأغر، فهزمه إسحاق، وقتل من أصحابه جماعة.

وفيها سير خاقان المفلحي إلى الري في جيش كثيف ليتولاها.

وفيها صلّى الناس العصر بحمص، وبغداد في الصيف، ثم هب هواء من ناحية الشمال، فبرد الوقت، واشتد البرد، حتى احتاج الناس إلى النار، ولبس الجباب، وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء[٢].

وفيها كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد وبين محمد بن هارون بالري، فانهزم محمد، ولحق بالديلم مستجيراً بهم، ودخل إسماعيل الري[٣].

وفيها زادت دجلة قدر خمسة عشر ذراعاً.

وفيها خلع المكتفي على هلال بن بدر، وغيره من أصحاب أبيه في جمادى الأولى.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٣، ٩٤).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١١٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ٦).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٦).

وفيها هبت ريح عاصف بالبصرة، فقلعت كثيراً من نخلها، وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس، وزلزلت بغداد، في رجب، عدة مرات، فتضرع أهلها في الجامع، فكشف عنهم[١].

وفيها حج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله العباسي[٢].

الوفيات

وفيها مات أبو حمزة بن محمد بن إبراهيم الصوفي، وهو: من أقران سرى السقطي.

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٨٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١١١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ٦).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١٠/ ٩٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١١٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٣/ ٧)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٠٧).